الأَبْعَادُ الشِّعْرِيَّةُ
فِـــي تَجْرِبَةِ غَازِي الْقِصَيْبِي

د٠ ليلى عبده محمد شبيلي (*)

المقدمة :

فإن غازي عبد الرحمن القصيبي يعد واحدًا من أبرز أعلام الشعر الذين تركوا بصمةً واضحةً ومُميَّزةً في الشِّعرِ السُّعودي المعاصر؛ فهو يقفُ في طليعة جيلٍ من الشعراء ينفردون بملامحهم الخاصة وتجاربهم الثرية، سواءً من حيث الشكل أو المضمون، ولا تزال أعمال القصيبي تُقدِّمُ لقارئها الكثير من الأفكار الثمينة التي تُبرهن على استمرارية عطائه الإبداعي، وتفتح للدارس آفاقًا واسعةً، وتكون امتدادًا مُتواصِلاً مع حركة الدرس الأدبي، وعنه يقول عبدالله الشباط(١):" إذا اجتمعت الموهبة والكفاءة والعالية في إنسانٍ فلابُدَّ أن يُعطي نتائج إيجابية وفعالية ذات قدرة على العطاء المتواصل والمتميز، سواء أكان ذلك في مجال الفنون والأدب أو العلوم ".

والقصيبي شاعرٌ استطاع أن يرسم لنفسه منهجًا واضحًا في التفاعل مع الكلمة والحرف والمعنى، إذ يمتاز بلغة شعريَّةٍ فذَّة، رُبَّما لا نجدها عند كثير من الشُّعراء، وهذه اللغة هي أحد المداخل الفنية في شعره، فهي على بساطتها لغةٌ تتجاوزُ الأداء العقلاني؛ لتصل إلى غايتها المقصودة التي تساعده في اكتشاف

(*) أستاذ الأدب والنقد المشارك، قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة جازان السعودية.

(١) أديب وصحفي يُعَدُّ من الرعيل الأول، من رواد الصحافة السعودية الذين حملوا مشاعل التنوير، أطلق الكلمة في فضاء المعرفة والفكر والثقافة، ومثقف من مثقفي الوطن البارزين، حاصل على وسام المملكة عبد العزيز.

أغوار النفس المخبوءة، وتُسجِّلُ انعكاسات حياته وتجاربه وتجلية الموقف الفكري القائم في أعماق الذات أو تسعى كذلك إلى إقامة علاقات وجدانية أو روابط عاطفية بتكون أحاسيسه وانفعالاته.

ومن منطلق مكانة غازي القصيبي بين الشُّعراءِ ولغزارة نتاجه الشِّعري، فهو يتميَّزُ من خلال مسيرته الفنية الحافلة بالتميُّز الشِّعري، ومن خلال نصوصه الشِّعريَّة التي تنوَّعت موضوعاتها، واختلفت رؤاها واتجاهاتها؛ لتقدِّمَ إبداعه الفيَّاض، وتجربته الشعرية، ولأجل هذا جاءت هذه الدراسة؛ لِتُسلِّطَ الضُّوءَ على هذه التجربة بأبعادها المختلفة التي تُمثِلُ ظاهرةً مُميَّزَةً في شعره، وعلامةً بارزةً وواضحةً في كثافة منجز القصيبي الشعري. وتسعى الدراسة إلى دراسة مواقف الشاعر من القضايا التي تبلورت من خلال تجربته الشعرية، والعوامل التي دعت الشاعر إليها، ومدى أثرها في توهُّج هذه التجربة، وإبراز القيم التعبيرية والفنية والتصويرية في مختلف مفاهيمها. ويستمدُّ البحثُ موضوعاته من دواوين الشاعر التي تُمثِّلُ نِتَاجَهُ الأدبي في مراحل مختلفة من حياته؛ خلال مسيرته الفنية.

واتَّبعَت الدِّرَاسَةُ في موضوع «أبعاد التجربة الشعرية في شعر القصيبي» **منهجًا وصفيًّا تحليليًّا**، والوقوف على المُؤثِّرات النفسية والإيجابية، وسبر أغوار جمالياتها في شعر القصيبي، من خلال ما تركته هذه التجربة من أثر، وجاءت هذه الدراسة مكونة من **المقدمة ومبحثين** .

- المقــدمة: وفيها أهمية البحث وأهدافه ومنهجه وخطته.

- **الْمَبْحَثُ الأَوَّلُ: الْبُعْــدُ الْعَاطِفِي أَو الرُّوْمَانسِي.**
- **الْمَبْحَثُ الثَّانِي: البُعْدُ الوَطَنِي والقَوْمِي.**

تعدَّدت في شعر غازي القصيبي أبعادُ التجربة الشعرية، لتشمل أهم مناحي الحياة في الفترة التي عاش فيها، وهي كثيرةٌ، وقد آثرت بالدارسة جانبين فقط هما:

(أ) البعد العاطفي أو الرومانسي. (ب) البعد الوطني والقومي.

وتجانست هذه الأبعاد عند القصيبي بإحساسٍ خاصٍّ، وبنكهةٍ مُختلفةٍ في نتاجه الشعري، وأضفت عليه الكثير من الجمال والمتعة الفنية والقدرة والموهبة المتوهجة التي تُلهب مشاعر القارئ، وتُغريه بالغوص في أعماق هذا الشاعر الذي ينقلك إلى عوالمه الخاصة بما فيها من حزن وفرح وقلق وهموم وابتسامة ودموع. وقد كان لثقافة الشاعر الواسعة المتعددة المناحي، ولطبيعة الحياة التي عاشها، والواقع الذي عاصره، إضافة لإحساسه المرهف والشَّفيف، وتطلُّعه للمستقبل بأملٍ وتفاؤُلٍ، إضافة لخبرته الشخصية وحِنكته الدبلوماسية– دورٌ كبيرٌ في خلق نوع من التمازج بين معطيات الحياة وما يعبر عنه من خلال أحاسيسه، وترجمة كل ذلك بأسلوبه المنفرد، وبالعبقرية والجمال، الأمور التي جعلته في طليعة الشعراء الذين صنعوا لأنفسهم قاعدة جماهيرية عريضة، وتعشق قلمه وحرفه الشفاف وفنه الرفيع.

* *

الْمَبْحَثُ الأَوَّلُ

الْبُعْــدُ الْعَاطِفِي أَو الرُّوْمَانسِي

يُعدُّ الحبُّ أهم عاطفة تمرُّ على الإنسان بأطوارها المختلفة، فإننا ما نكاد نُحبُّ " حتَّى نشعر بأنَّ العالم نفسه قد تغيَّر من حولنا، إن لم نقل بأننا أنفسنا قد أصبحنا مُختلفين"(١)، وإذا كانت المرأة؛ وهي محورُ عاطفةِ الرَّجُلِ تُثيرُ لديه كُلَّ تلك المشاعر والأحاسيس المكنونة في داخله، فيبدأ في ترجمة ما يُحسُّه تجاههما، فكيف إذا كان الرجل هو الشاعر الذي رأيناه يلتحم ويلتصق بموضوعات عديدة باندفاعٍ وصدق، بل وتمكن انعكس على أدواته الفنية.

وقد احتلَّت العاطفة في إرثنا الشعري مساحةً واسعةً وكبيرةً عبر العصور المختلفة، ولم تعدم البشرية وسيلة للتواصل منذ وجودها الأول، فإذا كلامُ العيون هو الذى ساد في البدايات ثُمَّ تطوَّرت تلك اللغة عبر الأزمان، نحو اختراع الكلام المنطوق الذي تطوَّر بدوره من مجرد وسيلة للتواصل إلى وسيلةٍ راقيةٍ للتعبير، ويبدو الشعر في أجمل وأحلى تجلياته حين يُعبِّرُ عن عاطفة الحُب تلك العاطفة التي شغلت البشرية منذ الإنسان الأول، وكان للعرب إسهاماتهم في الشعر العاطفي، وهم الذين قادوا مسيرته في مرحلة مهمة من التاريخ الإنساني، بدءًا من العصر الجاهلي، حيث تصدَّر هذا النوع من الشعر القصائد، وأصبح عند بعضهم غايةً، وفي العصر الأموي صار فنًّا مُستقلاً بنفسه، وأصبح غالباً تصويراً لأحاسيس الحُبِّ التي سكنها المجتمع الجديد في نفوس الشعراء.

أمَّا في العصر العباسي فقد جاء شعرهم صدى لعصرٍ تألَّقَ فيه الإبداع الأدبي، فَكَثُرَ الشِّعرُ العاطفي الذي يُصوِّرُ الأحبة وبعدهم ولوعتهم؛ بإحساسٍ مُرهَفٍ وحنينٍ فيَّاضٍ، حتَّى إذا وصلنا إلى العصر الحديث وجدنا أن هذا الجانب نقل الشعر إلى مرحلة جديدة من مراحل النهضة، فكان شعرهم وجدانياً

(١) الاتجاه الابتداعي في الشعر السعودي في نهاية التسعينات، محمد حبيبي، ص١١٠.

ذاتياً، ومنبعه دخيلة نفوسهم، ووحيه ذات مشاعرهم وأحاسيسهم، وعبَّر عن مواضع شتي من حزنٍ وألمٍ وقلقٍ وشوقٍ وحنينٍ؛ نتيجة جملة من العوامل والانكسارات، وقد لمعت أسماء شاعرية كثيرة في العصر الحديث ممَّن شغلت العاطفة مساحة كبيرة في شعرهم من مثل: أبى القاسم الشابي، وعلى محمود طه، وإبراهيم ناجي، ومحمود حسن إسماعيل، وغيرهم الكثير؛ ممَّا لا يتَّسعُ المقام لذكرهم.

ويُعدُّ الشاعر غازي القصيبي في مقدمة الشعراء السعوديين الذين غصَّت تجربتهم الشعرية بهذه الظاهرة التي كانت كما يبدو سِمَةً مُميزةً في معظم نتاجه الشعري؛ لذلك نجده يمتلك حساً عالياً وروحاً شفافة مرهفة، تتمثل فيها صفات الرومانسي حين يتألم ويعاني ويبتسم ويبكي وينأى ويدنو، لكنه يستلذُّ ويستعذب تلك المعاناة وذلك التناقض الذي يُحلِّقُ فيه كطفلٍ أو ينزوي كيتيمٍ على اعتبار أن نصوصه الشعرية في جميع مضامينها وأشكالها ما هي إلا تجربة الشاعر ومعاناته في مختلف مستوياتها وأبعادها، يقول في قصيدة "" ليلة الأمس:(١)

سَميرُ طَيْفِكِ في أجفَاني الأَرَقُ
يا فِتنةً أرتَمِي فيهَا وَأَحْتَرِقُ
تمرُّ ذِكْراكَ في رُوْحَي كَمَا خَطَرَتْ
ذِكْرَى الضِّفَافِ بِمَنْ يَجْتَاحُهُ الغَرَقُ
وأنتِ فِي مَجْمَعِ السُّمَّارِ سَابِحَةٌ
في السِّحْرِ يَقْطُرُ مِنْ إيمائِكِ العَبَقُ
واللَّحْنُ يَنْسَابُ مَخْمُورًا بِصَبْوَتِهِ
كأَنَّهُ مِنْ رُؤى دُنْيَاكِ يَنْطَلِقُ
وَنَظْرَتي فِي دُنَى عَيْنَيْكِ أُمْنِيَةٌ

(١) ديوان قطرت من ظما، غازي القصيبي، ط١، بيروت، ١٣٨٥هـ، ص١٦٦.

تَغَرَّبَتْ فِي بِحَارِ النُّوْرِ تَسْتَرِقُ
سَمْرَاء الليلة أمس تستبيحُ دمي
وترتمي خَلْفَ أَضْلَاعِي وتَصْطَفِقُ
ماذا تذكرت عنها ؟ كُلَّ ثانيةٍ
منها فديت الثواني كيف تستبقُ

منذ بدء المقطع نجد أنَّ الإحساس والشعور حاضرٌ بكثافة عبر حديثه العذب الشفاف، بما تُكنُّهُ النَّفْسُ من مشاعر جيَّاشة، وهو يستحضرُ ليلة الأمس عبر الصُّوَرِ الخياليَّةِ الجميلة المتلاحقة التي تُصوِّرُ المحبوبة في تلك الليلة فتنتها وطيفها وسحرها ولحن صوتها وعينيها، ثُمَّ ما تمثِّله تلك الليلة من أهمية في نفس الشاعر؛ ليفتدي كُلَّ ثانية فيها بروحه، والمقطعُ يُشيرُ إلى قدرة الشاعر في التعامل مع كل عنصر وفق ما يقتضيه الموقف الشعوري ووفق العاطفة ذاتها التي تتلوَّن بدورها عبر ما تُمليه المشاهد التي جسَّدت ذات الشاعر في كُلِّ ثناياها تجاه المحبوبة، وتجاه الزمن وقيمته في نفسه. وفي قصيده (لولاك) تتعمَّقُ تجربة القصيبي الرومانسية من خلال تصوير حالته النفسية القلقة التي يمرُّ بها، وخوفه من الضَّياعِ، ومن فلول الذكريات التي تُحاصِرُ حياته:(١)

حَبيبةُ لا تتركيني لليلِ
كئيبَ فجرٍ شحيحِ السَّنَا
ولا تُسلِمين لِدَرب الضَّيَاعِ
وتكليني لجُرْحِ الضَّنَا
أنَا وفُلُولٌ مِنْ الذِّكريَاتِ
وصَمْتِ المَسَاءِ ... بقايا المُنى
أحنُّ إليكِ حنينَ الغَريبِ

(١) ديوان أشعار من جزيرة اللؤلؤ، غازي القصيبي، ط٢، بيروت، ١٩٦٠م، ص٣٣.

إذا ذَكَرَ الأَهْلَ والمَوْطِنَا
أُحِبُّكِ فِي كُلِّ عِرْقٍ نِدَاء
يضجُّ ويهتفُ: إنِّي هُنَا
فأبحثُ عنْكِ وراءَ النُّجُومِ
وبينَ الغُيُومِ ..... وفي المُنْحَنَى
حبيبة لولاكِ ما الأمسيات ؟
وما الحبُّ ؟ والشَّوقُ ؟ بَلْ مَنْ أَنَا ؟!

إنَّها الرُّومانسيَّةُ التي تمتزج معها الحالة الشعورية التي تناسب الحالة النفسية للشاعر، علماً بأنَّ هذه الحالة التي يصدرها ليست من السهولة التعامل معها ونقلها شعرياً مع الاحتفاظ بِكُلِّ المُعطيات الفنيَّةِ للأداء الشعري إذ إنَّ حالتي الخوف والقلق حالة شعورية متداخلة مضطربة .

فها هي المشاعر تضطرب وتحقد حين يُحاصرها الحنين والشعور بالغُربة والضَّياع والبحث عن المحبوبة التي استوطنت العروق وراء النجوم وبين الغيوم، وفي مُنعطفات العمر، فيعيشُ معها الشَّاعِرُ حالةً غيرَ مُتوازيةً، والنَّصُّ يُصوِّرُ حالةَ الخَوْفِ والقلق، وتهويمات كُلِّ تلك المشاعر في تفكير العاشق، بمعنى أنَّ الحالةَ النَّفسيَّةَ مُركَّبَةٌ من حالةِ الحُبِّ والهيامِ وحالةِ الخوفِ والقَلَقِ، وهو ما يُؤكِّدُ لنا وعي الشاعر واختياره للشعر التفعيلي، والتَّحكُّم في الجمل الشعرية التي كشفت عن الإحساس بالخوف والقلق، وكأنَّها تُؤكِّدُ أنَّ الشاعر مرَّ بهذه اللَّحَظَاتِ، وعاشها حقيقةً، واستطاع أن يَتَمَثَّلَها تَمَثُّلاً نَفْسِيًّا وفنيًّا إلى حدٍّ كبيرٍ، وفي قصيدة أخرى له بعنوان كلمات من ملحمة الوجد[1] "أقول أحبك "

في زَمَنٍ يخجلُ النَّاسُ فيه مِن الحُبِّ ..
لا يخجَلُونَ مِن الحِقْدِ والكِبْرِ والعُنْفِ ..

(١) ديوان العودة للأماكن القديمة، غازي القصيبي، ط ٢، البحرين، ١٤٠٥هـ، صـ١٥.

لكنَّمَا الحُبُّ يَجْرَحُ فيهم إبَاءَ الفُحُولَةِ ..
يُحرجُهم. . يتلعثَمُ واحداهُمْ حيْنَمَا يُذكرُ الحُبُّ
لكنَّني دون لَحْظَةِ شَكٍّ ..
ودُوْنَ هُنَيْهَةِ خَوْفٍ ..
أقولُ: " أُحِبُّكِ " أَكْتُبُهَا فِي الدَّفَاتِرِ ..
أُعْلِنُهَا في المَنَابِرِ .. أَزْرَعُهَا فِي الغُيُومِ ..
وأَنْقُشُها فِي الرِّمَالِ
أقولُ: " أُحِبُّكِ؟" .. مِنْ غَيْرِ أَنْ أَتَحَفَّظَ
أو أَتردَّدَ .. أو أَتَرَاجَعَ .. أَكْتُبُ حُبَّكِ
شِعْراً وَنَثْراً .. وَتَارِيْخَ وَجْدٍ ..
وعَصْرَ حَنينٍ وقَرْنَ غَرَامٍ ..
وأَحملُ حُبَّكِ بين عُيونِي وفَوْقَ جَبِيْنِي ..
وتَحْتَ الأَظَافِرِ .. أَحْمِلُ حُبَّكِ حَيْثُ
أَرُوحُ وحيثُ أَجِيئُ . ولا أَتَبَرَّأُ مِنْهُ
إذَا مَا تَبَرَّأَ أَلْفُ يَهُوْذَا ..
إلى أَنْ يقول:
هَذَا الصَّبَاحُ
نهضتُ فلاحظتُ أنَّ السَّمَاءَ أَزْرَقُ ..
لأنِّي أُحِبُّكِ ..
أَنَّ الوُرُودَ أَشَدُّ احْمَرارًا ..
لأنِّي أُحِبُّكِ ..
أنَّ الغُيُومَ تَرُشُّ الرَّذَاذَ ..
لأنِّي أُحِبُّكِ ..

قُلْتُ: صَبَاحُكِ نُوْرٌ ووردٌ وغيمٌ وحبٌ .

في هذا النَّصِّ يُقدِّمُ القصيبي رُؤيةً جديدةً لتفاصيل شعوريةٍ، رُبَّما لم يتعرَّضْ لها أحدٌ قبله من الشعراء بهذا الشكل الذي عرضها فيه، حيثُ مزجَ الصِّدْقَ الفني بالصدق الواقعي، كاشفاً مشاعره الحقيقية تجاه المحبوبة في شجاعةٍ وجُرأةٍ نادرة، أسهمت في إثراء الدلالات وتفريغ معانٍ أخرى في سياق تجربة الحبِّ، تقوم في مُجملها على كشف المشاعر الخافية، وإظهارها بهذا الثوب في بدايَةِ النَّصِّ، بما فيها من حرارةٍ وعاطفة؛ عابراً إلى الحقيقة التي ينظر بها البعض إلى هذه العاطفة السامية، ويرى أنَّها عيبٌ يخدشُ فُحُولةَ الرَّجُلِ، فمهما يكن الحُبُّ شفَّافاً ومُغرياً وعذباً إلا أنَّهُ يُقلِّلُ مِنْ شأنِ الإنسانِ، ثُمَّ لا يفتأ في رصد وتصوير مشاعره؛ دون حياءٍ، مازجاً تلك المشاعر الجيَّاشَةِ والصور الرقيقة والواقع المعيش بلغة مناسبة تماماً للأحاسيس والتجربة التى أرد الشاعر نقلها إلينا حيث نجح في صياغة تجربة شعرية، مُعتمداً على عالمه العاطفي الذي تُعزِّزُهُ علاقته بالمرأة والموقف المُغاير للآخرين، وفي قصيدته "سيدة الأقمار":(١)

أَنْتَ الشَّبَابُ إلى الأَعْرَاسِ مُنْطَلِقٌ ... أَنَا الكُهُوْلَةُ يَـوْمَ مَا لَدَيْـــه غَـدُ
أَنْتَ الحَيَاةُ التي تنسابُ ضَاحِكَـةً ... إلى الحياةِ .. أنَا المَـوْتُ الذي يَئِدُ
لا تَعجبي مِنْ صَبَاحٍ فيه فُرْقتنـا ... بل اعْجَبِـي مِنْ مَسَاءٍ فيـه نَتَّحِدُ
جَميلةٌ أَنْتِ .. يَحْدُوكِ الجَمَالُ كَمَا ... يَحْدُو اللَّهِيبَ فـرَاشًا نَحْـوَهُ يَفِـدُ
جَميلَةٌ أنتِ .. عَيْنَاكِ الزُّمُـرُّدُ لَا ... يَخْبُو .. وفِي شَفَتَيْكِ الكَرَمُ والشُهدُ
جَميلةٌ أنتِ .. فِي أَحْرَاشِ مَأْسَدَةٍ ... وَهَلْ يَعِفُّ – وَأَنْتِ الظَّبْيَةُ – الأَسَدُ؟
هُو الفِرَاقُ ؟ فَمَاذَا تَأْمُرِين إِذَنْ؟ ... أَنُوْحُ؟ أَصْمُتُ؟ أَجْرِى عَنْكِ ؟ أَتَّئِدُ؟

(١) ديوان قراءة في وجه لندن، غازي القصيبي، ط٣، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١١م، صـــ٤٨.

أقول شكراً ؟ أكانت ليلة هبةً ؟ يا للكريمة .. إذ تسخو .. وتقتصدُ ؟

ويتَّضحُ من النَّصِّ السَّابِقِ البَوْحُ عَنْ مشاعِرِ الحُبِّ المُترسِّبَةِ في أعماقِ الشَّاعِرِ وكُلِّ بيتٍ يُفضي إلى حالة شعورية لا يمكن أن ينهض بها بيت آخر سواه، وفق شكلٍ هرميٍّ مُتدرِّجٍ، من خلال الوصف، فهي الشَّبابُ بكُلِّ ما فيه من رونق وبهاء وحياة تشق طريقها، وهو الكهل الذي شاخت روحه، ولا تنتظر الغد، بل هي الحياة بكُلِّ معانيها الجميلة الواعدة، وهو الموتُ ثم يطلعها على عالمها الجميل الذى يهطل بما يعكسه أو كما يراه، وهو من خلال ما أغدقه عليها من صفات؛ فهي الجمال، وهي الفراش، وهي الزُّمرد والكرم والشهد، بل هي الطبيعة الجميلة الأليفة في غابة تكتظُّ بالأسود، وهو البعد الرمزي الذي يُوحي إليه الشاعر، وما هو إلا تعبيرٌ يُوحي بمشاعر الشاعر وما يُخفيه من حُبٍّ للمحبوبة، ويختصر كُلَّ تلك المشاعر في كونها المخلوقة الرفيق الجميل في هذه الحياة البشعة التي تُشبه غابة الأسود، ولا يتحرَّجُ في إظهار ضعفه أمامهما حين يأتي الفراق "" هو الفراق فماذا تأمرين إذن .....

أنوح ؟ أصمت ؟ أجرى عنك: أقول شكراً ..

كل ذلك في دقة متناهية، ولغة معبرة بسيطة، منتزعة من اللحظة التي يعيشها.

وفي قصيدة "" الليل "" التي يقول فيها[1]:

اللَّيلُ يَا صَدِيقَتِي
بَعْدَك...لا يُطَاقُ
فِي غُرْبَتِى السَّوْدَاءِ ....
لا يُطاقُ
أَوَدُّ لو أَسْنَدْتُ رَأْسِي نَحْوَ صَدْرٍ
أَوَدُّ لَوْ بَكَيْتُ

(١) ديوان أبيات غزل، غازي القصيبي، صـــ١٢.

هَلْ تَعْلَمِيْنَ مَا يُعَانِي
كَائِنٌ يَمُوتُ ؟

حيثُ تبدو لنا رومانسية الشاعر حسب مُعطياتِ النَّصِّ أكثر عمقاً وتعبيراً، تعكس المشاعر التي تكتظُّ بها أعماقُ الشَّاعرِ من الوحدة والغربة في حجرة سوداء مظلمة لا تُطاقُ، فلم يعد همُّ الشاعر البحث عن الحبِّ والنشوة والغرام، بل البحث عن الأمان والراحة في صدرٍ حنون يسند رأسه عليه، ويبثه كل أحزانه، في كل لحظة يموت فيها، ولعلَّ ذلك ناتج من شعوره بالحرمان الذي عانى منه في حياته؛ بسبب الفقد لأُمِّه، وما ترتَّب عليه من ألمٍ ومُعاناةٍ جعلته يسافر بحثاً عن الأمان والأمل في أحضان المحبوبة والصديقة، ولا شكَّ أنَّ كل ذلك جعل دوائر الرومانسية تتَّسعُ لتلعبَ دورًا رئيسًا في تشكيل البُعد الفني للعواطف والانفعالات.

– وفي قصيدة "" سوّال "":(١)

أَوَ تَقْوِينَ على العيشِ معي
عندما يبتلعُ اليأسُ كفَاحِي ؟
عندما أرجعُ مكبولَ الخُطَى ؟
عندما تقتلعُ البِيْدُ جَنَاحِي ؟
عندما أهمسُ "" أعياني السَّرى ""
عندما أصرخُ " دربي من رماحِ ""
عندما يُنكرني كُلُّ أخٍ
عندما تلعبُ بي هُوْجُ الرِّيَاحِ
عندما أفقدُ حتَّى أَمَلِي
عندما يَطْعَنُني حتَّى سَلَامِي

(١) السابق، صـــ٢٥.

أو أُلْقي عندكِ الحُبَّ الذي
يتلقَّانِي .. ويُعنى بجراحي؟

وفي هذا النَّصِّ تجربةٌ أخرى للحُبِّ تقوم في أساسها على استبطان المخفيَّاتِ من المشَّاعرِ وإظهارها بهذه الصُّورةِ، فهو هنا يتجاوز الحديث عن الحُبِّ بما فيه من حرارة الأشواق من الأحاسيس إلى إظهار الضعف والرغبة في الإحساس بالأمان والطمأنينة التي ينشدها بعد أن ابتلعه اليأس وتكبَّلت خُطاهُ، واقتلعت البِيْدُ القاسية جناحيه، وتنكَّر له الأخُ، ولعبت به الرياح، وطعنه سلاحه، وفقد كُلَّ أملٍ، وبقيت هي الأملُ؛ هي الحبُّ؛ الذي يعتني بجراحه كما يراها .

إذن، فللحبِّ والعاطفة وجهٌ آخرُ، وصورة أخرى عبر عنها الشاعر ونشرها على بساط شفَّافٍ جعلتنا نزداد قُرباً من الشاعر وأحاسيسه العميقة التي ترى وتشعر أنَّ المحبوبة هي الأملُ هي الحياة .

وفي قصيدة "أحبك" يقول [1]:

أُحِبُّكِ حتَّى تَطْفَحَ الأَرْضُ بالحُبِّ
وحتَّى يَغُوصَ الكَوْنُ مِثلك في قلبي
وحتَّى أَرى أنَّ الحَياةَ خَمِيلةٌ
بعينيكِ آيَتُها؟ .. فتحنُو عَلَى جَدَبِي
وحتَّى أحبَّ النَّاسَ أرثي لِحُسَّدِي
وأرحمُ من حَيَّا بخنجره جنبي
أُحبُّك أدماني المسير فلامسي جراحي
وصبي البرءَ في يأسها صُبِّي
وجُنّ فمي عبر الصحاري فمرِّغي
لظاهُ على ينبوعك الدافق العَذبِ

(١) ديوان أنت الرياض، غازي القصيبي، صـــ٦٧.

وضَيَّعتُ في الغابات طُهرَ طفولتي
فرُدِّي ضميرَ الطفل في أضلع الذئبِ
وبعثرتُ حلمي في الدياجي فضوِّئى
دروبي بحلمٍ يزرع الشمسَ في الدربِ
.....
أحبك .. آوتني المكائد ... روعت
قوافي ... ألقت بي على شاطئ الرعب
أحبك رشي الأمن فوق مخاوفي
وطوفي كظل الفجر في غيهب الكرب

ومن خلال النصوص المطروحة نلمس البعد الرومانسي عند القصيبي، وموقفة المختلف عن غيره من الشعراء الذي أثرى التجربة الشعرية لديه، حيث منحها الصدق وحرارة الانفعال؛ تبعاً لقوته ودوافعه ومشاعره، وتأثرت تبعاً لذلك أدواته الفنية التي تنطوي تحت تجربته الفنية الغنية المنبعثة من المعاناة الحقيقية التي ترسَّبت في أعماق شخصيته المرهفة الحساسة ورومانسيته الشفافة الطاغية، وقد نجح الشاعر في التعامل معها بقوة واقتدار وإبداع وفنية عالية، واستطاع أن يصوغ هذه التجربة وفق ما تقتضيه المواقف بِكُلِّ تفاصيلها التي أضفت الكثير من الجمال والإبداع، وهناك الكثير من القصائد في هذه المضمار، ولا يتَّسعُ المجال لرصدها ونكتفي بهذا القَدْرِ.

* *

الْمَبْحَثُ الثَّانِي
البُعْدُ الوَطَنِي والقَوْمِي

أولًا: مَفْهُوْمُ الْوَطَنِيَّة:

اختلفَ تعريفُ الوطنية عند الباحثين باختلاف المناهج الفكرية لديهم، فمنهم مَنْ يجعلها عقيدة يُوالي عليها ويُعادي، ومنهم مَنْ جعلها تعبيراً عاطفياً وجدانياً يندرج تحت إطار العقيدة ويتفاعل معها، ومن ذلك ما يلي:

تقديس الوطن، بحيث يصبح الحب فيه والبعض لأجله القتال في سبيله.

- ❖ العاطفة التي تُعبِّرُ عن ولاء الإنسان لبلده.
- ❖ تعبير عن واجب الإنسان نحو وطنه.
- ❖ قيام الفرد بحقوق وطنه المشروعة في الإسلام.

إنَّ الوطنية بهذا التحديد الطبيعي شيء عام غير مستغرب، فهي مشاعر إنسانية لا غبار عليها[١]. ومهما اضطر الإنسان إلى ترك وطنه، فإنَّ حنين الرجوع إليه يبقى معلقاً في ذاكرته لا يفارق أبداً. أمَّا مفهومها في علم الاجتماع فهو الشعور بالانتماء والولاء للمواطن وللقيادة السياسة التي هي مصدر الإشباع للحاجات الأساسية وحماية الذات من الأخطار المعدية [٢].

معنى ذلك أنَّ الوطنية أكثر عُمقًا من المواطنة أو أنَّها أعلى درجات المواطنة، فالفرد يكتسب صفة المواطنة بمجرد انتسابه إلى جماعة أو دولة معينة، ولكن لا يكتسب صفة المواطنة إلا بالعمل والفعل لصالح هذه الجماعة أو الدولة لتصبح المصلحة العامة لدية أهم من مصلحته الخاصة.

ولمَّا كان الوطن يعني المكان الذي يستوطن الإنسان ويعيش فيه؛ ممَّا يعني ووفقاً للمفهوم العام للمواطنين أنَّ للمواطن ارتباطًا وثيقاً مع أرضٍ، وهذا

---

(١) الوطن والمواطن والوطنية، أحمد قاسم الغامدي، صحيفة اليوم السعودية، ٢٠١٤م.

(٢) صحيفة قلة، شاهر النهاري، ذو القعدة، ٢٠١٧م.

الارتباط هو في حقيقته ارتباط روحي مُؤدَّاه أن الوطن يعني الانتماء، والولاء إتمام الوطن.

ومنذ فجر الخليقة كان الإنسان يبحثُ عن معنى الانتماء، وقد حرص على بناء تكوين اجتماعي له مفاهيم فلسفية قائمة على أسس العلاقات الإنسانية المتبادلة والقائمة على دعائم قوية، وتتشكَّلُ من ذلك لعلها كلمة يرجى التثبت الوطنية التي تعني حب الوطن، واصفة مشاعر الحب والهيام والارتباط بالوطن وما ينبثق عنها من استجابات عاطفية تأتي دون شرط أو قيد، وقد عبَّر عن الوطن في القرآن الكريم بلفظ (البلد) في قوله تعالى:**﴿لَا أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ(١) وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا الْبَلَدِ﴾** [البلد:١-٢]، وكذلك قوله تعالى:**﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾**[سبأ:١٥]، ويقول الإمام عليٌّ -عليه السلام-: عُمِّرت البلدان بحبِّ الأوطان، وحب الوطن من الإيمان.

وقد يضيقُ مفهومُ الوطنيَّةِ أو يتَّسِعُ في الرّقعة والمكان، فيرتبط أحياناً بمسقط الرأس أو الوطن الذي ينتسب إليه المواطن، ويتفتح أحياناً على العالم كله؛ ليكتسب طابع الإنسانية في معناها الواسع العريض، وكثيراً ما يربط بعضهم معنى الوطنية بمفهوم عرقي أو عقائدي؛ كالوطن العربي أو الوطن الإسلامي، ولكن كلمة الوطن تذوب معهما كُلُّ الفوارق الاجتماعية؛ جنساً وعقيدة ولوناً[١]، أمَّا الوطن فيعني بالمفهوم العام المكان الذي يعيش الناس تحت ظلِّه.

الوطن: المنزل تقيم به، وهو موطن الإنسان ومحله. وطن بالمكان وأوطن أقام وأوطنه اتخذه وطناً والجمع أوطان[٢]. وقد أفصح الرسول -صلى الله عليه

(١) سعد البواردي شاعراً، عبد العزيز حمود البلوي، النادي الأدبي، جدة، ١٤٣٦هـ، صـ٢٥.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ج ١٥، مادة: وطن.

وسلم- عن حبه لموطنه مكة المكرمة عندما خرج مهاجراً منها فخاطبها «**والله إنك لأحب بلاد الله إلى الله، وأحب بلاد الله إليَّ، ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت**».(١)

أمَّا الشعراء فقد أكثروا الحنين في شعرهم لبعدهم عن ديارهم واشتياقهم إليها من العصر الجاهلي مرورًا بالعصور التالية، يقول امرؤ القيس:(٢)

قفا نبكِ من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللِّوى بين الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

ويقول ابن الرومي(٣):

وحبب أوطان الرجال إليهم مآرب قضاها الشباب هنالكا
إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم عهود الصبا فيها فحنوا لذالكا

وامتدَّ الحنين والشوق في العصر الحديث، وقد عبَّر الكثير من الشعراء عن ذلك، يقول أحمد شوقي:(٤)

وسلا مصر: هل سلا القلبُ عنها أو أسا جرحه الزمـــان الموسِّي
كُلَّمـــا مـــــرَّت الليالي عليـــه رقَّ والعهد في الليالي تُقسِّـــي
مُستطـــارٌ إذا البَواخِـــرُ رنَّـــت أول الليل أو عـــوت بعد جرس

وفي الشعر السعودي احتل الوطن مساحات شعريه كثيرة في دواوين الشعراء ولم يخلُ ديوان من الرؤية الوطنية والقومية على حدٍّ سواء.

---

(١) أخبار مكة وما جاء فيها من آثار، أبو الوليد الأزدي، تحقيق: على عمر، دار الثقافة، بيروت، ٢٠٠٤م، ج٢، صـــ١٥.

(٢) ديوان امرئ القيس، تحقيق: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، طـــ٢، ٢٠٠٤م، صـــ١٤٥.

(٣) ديوان ابن الرومي، تحقيق: عبد الأمير علي باشا، دار مكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٩٩١م، صـــ١٩.

(٤) ديوان أحمد شوقي، جمعه: إميل كبا، دار الجيل للنشر، بيروت، ١٩٩٩م، ج٢ رقم القصيدة ١٩٤٥.

ويُعدُّ غازي القصيبي من أبرز الشعراء الذين عشقوا الوطن، وسرى حُبُّه فيهم سريان الدماء في عروقهم، بل كان الوطن، كما يقول إبراهيم الوافي[١]: قصيدة للخلود، ومُتَّسعاً للحياة، وذاكرة للوجدان في عصر تتهافت فيه قيمة التعايش وتتصارع الطوائف من كل صوب حولنا.

والقصيبي كغيره من الشُّعراءِ السُّعوديين، ظلَّ الوطن في مرآته نموذجاً للمجد الخالد والعزة الشَّمَّاء، موئلاً للطهارة وقبلة الإسلام والمسلمين، وقد تميَّزت قصائده في هذا المضمار بحسٍّ وطنيٍّ كبيرٍ، فالوطن هاجسه الذي يتغنَّى به ويتفانى من أجله، ويعيش ويموت على ثراه، حيث يقول:[٢]

أحبك حتى التوحد ... يا وطني
... وموتي عرسي
ودمعي إذا ما رأيتك عرسي
وأنت رجائي .. ويأسي
وبدري ..أنت .. وشمسي
نخيلك يغسل بالطل رأسي
ورملك نُقلي .. ويأسي
فدعني أحبك من كل أوجاع روحي
.. وغصة قلبي .. وحرقة نفسي
وكن حين أفزع حضني و أمني
كأنك أنت .. كأني
إلى قوله ...
ودعني أحبك من حزني

(١) جريدة الرياض، إبراهيم الوافي، العدد: ١٧٢٥١، بتاريخ ٨ – ١٢ – ١٤٣٦هـ.
(٢) قراءة في وجه لندن، غازي القصيبي، صـــ٨٥ .

ودعني .. دعني ..دعني ... دعني

وتتوقد العاطفة الوطنية في قصيدة الشاعر غازي القصيبي "أجل نحن الحجاز، ونحن نجد"(١)، حين تغمر صور التاريخ والمجد أعماق الشاعر، إضافة إلى التحديد الجغرافي الذي جعل دلالات النص أكثر عمقاً أضفى على الصور التي تتشكَّل عبر النَّصِّ عاطفة قوية يضجُّ فيها صوت الفخر والصُّمُود والاعتزاز والتَّحدِّي، يقول:

أَجَلْ نَحْنُ اَلْحِجَازُ وَنَحْنُ نَجْدُ
هُنّا مَجْدٌ لَنَا وَهُنَاكَ مَجْدُ
وَنَحْنُ جَزِيْرَةُ الْعَرَبِ افْتَدَاهَا
ويُفْدِيْهَا غَطَارِفَةٌ وَأُسْدُ
وَنَحْنُ شَمَالُنَا كبر أَشَمُّ
وَنَحْنُ جَنُوبُنا كبر أَشَدُّ
ونحنُ عسيرُ مطلبها عسيرُ
ودون جبالها برقٌ ورعدُ
ونحنُ الشَّاطئُ الغربيُّ بحرٌ
وأصدافٌ و أسيافٌ وَحَشْدُ
ونحنُ البِيْدُ راياتٌ لِفَهْدِ
وَنَحْنُ جَمِيعُ مَنْ في البِيْدِ فَهْدُ

إنَّهُ العِشْقُ الأزلي للأرض للوطن بكُلِّ جماله، العشق المعجون برائحة المجد والبطولات، والإصرار المحفوف بالنار والبعد، إنه الانتماء في أبهي صوره ومعانيه... ومن الدلالات والإيحاءات التي تبلورت في ملامح كثيرة كشفت عن

(١) نقلاً عن: مريم الجابر، صحيفة بمكتب جريدة الرياضة بأبها، حاصلة على جائزة أفضل تحقيق صحفي فردى، تاريخ النشر٢٠١٦م.

البعد الوطني عند الشاعر غازي القصيبي تصويره لبلدته الوادعة الجميلة في الليل، مُستحضراً تلك الصور من الطبيعة، وما تُوحي به من إحساسٍ رقيقٍ، فتبدو لوحة جميلة في الليل، يقول:(١)

فِي كُلِّ شَيءٍ فِتْنَةٌ أَوْمَضَتْ
فَهَامَت الرُّوْحُ ... وهَامَ البُعْدُ
البَحْرُ حَوْلِي وخُيُوطُ السَّنَى
تَهْمِي عَلَى أَمْوَاجِهِ كَالْمَطَر
يَرْنُو إِلَى البُعْدِ وفِي سَمْعِه
مِنْهُ حَكَايَا وَعَاهَا البَشَر
والشَّاطِئُ الحَالِمُ مُسْتَغْرِقٌ
فِي صَمْتِه .. لَوْلَا حَفِيْفُ الشَّجَر
اَللَّيْلُ فِي بَلْدَتِنَا لَوْحَةٌ
زَخْرَفَهَا اللهُ بِأَحْلَى اَلصُّوَر

وحينَ يُخاطبُ القصيبي جزءًا مُعيَّناً من الوطن فإنَّ الإحساس بالمكان يُصبحُ عنصراً مُهمًّا في تشكيل الملمح الشعوري والعاطفة الجيَّاشة التي تلهم الشاعر بالعديد من الصور الجمالية التي خلالها يبث شوقه وحبه للوطن، يقول:(٢)

كَأَنَّكِ أَنْتِ الرِّيَاضُ
بِأَبْعَادِهَا .. بِانْسِكَابِ الصَّحَارِى
عَلَى قَدَمَيْهَا
وَمَا تَنْقُشُ الرِّيْحُ فِي وَجْنَتَيْهَا
وَتَرْحَيْبُها بِالغَرِيْبِ الجَرِيْحِ

(١) المجموعة الشعرية الكاملة، غازي القصيبي، ط٢، تهامة للنشر،١٩٨٧م، ص٤٣٤.
(٢) السابق، غازي القصيبي، صـــ٤٧٤.

عَلَى شَاطِئَيْهَا
وَطَعْمُ الْغُبَارِ عَلَى شَفَتَيْهَا وَحِيْنَ ....
وَحِيْنَ تَغِيْبُ الرِّيَاضُ
أُحَدِّقُ فِي نَاظِرَيْكِ قَلِيْلا
فَأُسْرِعُ فِي ""الْوَشْمِ"" ""والنَّاصِرِيَّةِ""
وَأَطْرَحُ عَنْ "" خَرِيص"" الهُمُومِ
وحينَ تَغِيبينَ أَنْتِ
أُطَالِعُ لَيْلَ الرِّيَاضِ الوَدِيْعِ
فَيَبْرُقُ وَجْهُكِ بَيْنَ النُّجُومِ
وَفَاتِنَةٌ أَنْتِ مِثْلُ الرِّيَاضِ
تَزُفُّ مَلَامِحَهَا فِي المَطَرِ
وقَاسِيَةٌ أَنْتِ مِثْلُ الرِّيَاضِ
تُعَذِّبُ عُشَّاقَهَا بِالضَّجَرِ
وَنَائِيَةٌ أَنْتِ مِثْلُ الرِّيَاضِ
يَطُوْلُ إِلَيْهَا إِلَيْكِ السَّفَرُ

فالرِّياضُ هي عاصمةُ الوطن الوجه الغائب، الحاضر، البعيد، القريب، والشاعر يخاطبها بخطاب الأنثى والحبيبة المعشوقة، مُصبغًا عليها صفات المرأة الحسناء بكُلِّ مفاتنها الأُنثوية "وجنتيها وشفاهها، ووجها البراق الذي يشبه النجوم اللامعة، ناظريها وملامحها الرقيقة التي تشبه رقة المطر. كُلُّ هذه المعطيات الحسيه الجميلة التي أبرزها الشاعر في صور متعددة جعلته العاشق المتيم والوطن معشوقته الرائعة النائية البعيدة مسافة والقريبة إحساساً، إنه الامتزاج الروحي والجسدي بالوطن الذي يراه الشاعر جميلا بكُلِّ ما فيه، وفي

بعض صور القصيبي يبرز الوطن في حلة جميلة خشيبه زاهية الألوان رائعة المفاتن خلابة المناظر يقول في قصيدته ""أبها"":[١]

يا عروس الرُّبى الحبيبة أبها
أنت أحلى من الخيال وأبهى
يحلم النجم أن يمسَّ يديها
وهى تأبى لأنَّها منه أزهى
يا عروس الرُّبى الحبيبة
والعشق فنون .. وجدت عشقك أدهى
حين مست عيناك بالحب قلبي
خلت أن الوجود ملهي

وتتكرَّرُ مثل هذه الصورة في قصائد أخرى، ففي قصيدة حائلية[٢] ملمح آخر من ملامح حب الشاعر لوطنه مازجاً هذا الحب بالجمال الذي تفيض به ملامح هذه البقعة وإحساسه بالمجد والشموخ والعزة الذي يفوح من تاريخ ""حائل"" العريق، يقول:

أتيتُ أعبِّر من بحر الهوى لُججا
حتَّى لقيتك .. طلق الرُّوح مُبتهجا
لثمت جبهتك السمراء .. أعرفها
للخير منطلقاً .. للفخر مُنعرجا
سرحت عيني في وجه ملامحه
السِّحر فيها بحلو الهيبة امتزجا
يا حائل المجد؟ كم مجد شمخت به

(١) المجموعة الشعرية الكاملة، غازي القصيبي، صـــ٥٥٤.
(٢) السابق صـــ٧٧٢.

تندى الشواهق من تذكاره أرجا
سيف البطولات لم يصدأ .. ولا تعبت
أكف من علموه الضرب والوهجا
ما زلت تبتكرين العز ملحمة
إنْ شاعراً هزجاً.. أو فارساً لهجا
يا حائل المجد مجدي أن أكون هنا
أُنيخ قلبي على "" سلمى "" الرؤى و"" أجا ""

إنَّهُ إعجاب الشاعر بوطنه الذي يُمثِّلُ قمة تحمل كُلَّ دلالات المجد والهيبة والشموخ والعزة، وهي دليلٌ على تجذر هذا الوطن في أعماقه مازجاً كل ذلك بصور الجمال والبهجة والسحر. ومن الصُّور الجميلة التي تعكس حُبَّ الشاعر والتصاقه الشديد بوطنه الأصل وانتمائه له قصيدته (العودة إلى الواحة)[١] التي- كما يقول الشاعر أحمد سليمان اللهيب - يشكل فيها إحساسه تكاملاً بنائياً في قصائد لصورة هذه الوطن، فعلى الرغم من تلك الجماليات التي أسبغها على ملامح وطنه تظلُّ الصحراء حاملة لأعلى حد من التناقض، فهي تُمثِّلُ حينا رمز الوحدة، وحينا آخر رمز الغربة والملل والخوف والجدب، ويصبح كُلُّ ما فيها مُفضيًا للعذاب والألم والحسرة التي تجعله لا يرغب في العودة إليها.[٢]

خذيني إليك
ولا تتركيني
أعود إلى الفقر والغول
لا تتركيني
أفتش عن منبع في الصخور

(١) أحمد سليمان اللهيب، شاعر سعودي معاصر، له إسهاماتٌ أدبية كثيرة، وديوان شعري.
(٢) ديوان أنت الرياض، غازي القصيبي، منشورات تهامة، ١٩٩٥م، صـــ٢٠.

عن الورد في الرمل
لا تتركيني
لقهقهة اليأس في خطوتي
لزمجرة الشمس فوق جبيني
لحرقة جوعي الدخين

وفي قصيدة (يا صحراء) نلمس هذا الإحساس الشفاف المتدفق الذي يسري عبر أبياتِ النَّصِّ الرَّمزي الذي يبثُّ حنين الشاعر إلى الوطن الذي رأى فيه الأم الحنون الرؤوم التي يتمنى أن يلقي بنفسه على صدرها يتدثر رمالها الدافئة، ويتوسَّدُ هجيرها، ويرمي عناء الحياة على عاتقها معترفاً ومؤمناً؛ أنَّها الأصدق والأوفى والأنقى والأبقى، يقول(١):

وطفت الكون لم أعثر
على أطهر من حبك
أو أعنف من بغضك
وعدت إليك .. ألقيت بمرساتي
على الرمل
غسلت الوجه بالطل
كأنك عندما ناديتني
وهمست في أذني
"" رجعت إلى يا طفلي ؟ ""
أجل .. أماه .. عدت إليك
طفلاً دائم الحزن

(١) ديوان معركة بلا راية، غازي القصيبي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٧٠م، صـــ٢٥.

تغرب في بلاد الله
لم يعثر على وكره
وعاد اليوم يبحث عن عمره
وعدت إليك يا صحراء
ألقى جعبة التسيار
أغازل ليلك المنسوج
من أسرار
وأنشق في صبا نجد
طيوب عرار
وأحيا فيك للأشعار والأقمار

فالصحراء رغم قسوتها ووحشتها فإنها تبدو لوحة جميلة تحتل مساحة شاسعة من إحساس الشاعر ومشاعره، ويتجاوز القصيبي وطنه الأصلي إلى وطنه الثاني "" البحرين "" ثم إلى الخليج مستحضراً حبه و مشاعره في صور بهية جميلة تليق بتلك البقاع الغالية على نفسه، يقول في قصيدته (أغنية حب للبحرين) [1]:

بحرين هذا أوان الوصل .. فانسكبي
على بحرين من در ومن رطب
تنفسي في شجوني... وأدخلي حرقي
واسترسلي في دمائي .. واسكبي تعبي
يا فرحتي .. ورياح اليأس غاضبة
يا نشوتي .. حين يذوي موسم العنب
يا ضحكتي .. والدموع الحمر تعصريني

(١) المجموعة الكاملة، غازي القصيبي، صـــــ٨٠٧.

يا واحتي .. وهجير القفر يعبث بي
إلى قوله:
أتذكرين الفتى المخبوء في رجل
غض الهموم .. عجوز القلب .. مضطرب
أتذكرين الدامي من قصائده
في أحسيات الصبا المغرور و اللعب
أتذكرين ندامى الليل .. تحملهم
إلى النجوم فراسات من الحبب
أتذكرين اسمها؟ .. لو قلته انهمرت
على القصيدة أمطار من الذهب
وهل تذكرت وجهي رغم ما نقشت
سود الليالي على خدي من كتب .

لا تختلف صورة الوطن الثاني البحرين عن صورة الوطن الأصلي؛ لِتُشكِّل في نهاية الأمر صورة المحبوبة التي خاطبها الشاعر في بداية القصيدة أن تمنحه الوصل، ثُمَّ يسترسل في كشف محاسنها، فتصبح هي الضحكة حين تعصف به رياح اليأس والنشوة حين تذوي مواسم النضج حين يغرق في الدموع الحمراء والواحة الوارفة الظل حين يبعث به الهجير.

ثُمَّ يستعرض ذكرياته الجميلة في البحرين: أمسيات الصبا وذكريات الشباب وليال السمر وما تركته تلك الذكريات في قلب الشاعر. وهل مازالت البحرين تذكر ذلك الوجه الذى طالما سامرها في ليالي السمر، سيما بعد أن نقشت الليالي السود على خديه ما نقشت من آثار السنين. وفي ذات الموضوع يصور الشاعر في قصيدته العودة إلى الأماكن القديمة، هواه البحرين موطنه الثاني وعشقه لها، ويتحدَّث إليها: عبر أحاسيس شفافة رقيقه حديث يصور مرحلة العودة إلى البحرين في مرحلة عمرية مختلفة بعد أن تجاوز الأربعين، وقد ملأ الظمأ

روحه وذهب الصبا وما فيه من بهاء وفتنه وجمال تجرُّه خطًى ثقيلة وشيب وجراح وغربة ربما يجعل هذه المعشوقة تنكره ولا تتذكره، يقول:(١)

عُدْتُ كهلاً تجرُّه الأربعون
فأجيبي: أين الصِّبا والفُتون
ملأ روحي الظما .. فأين "" عذاري "" ؟
وبقلبي الهوى .. فأين الجفون ؟
ما تغيرت .. أنت ليلى التي أعشق ..
لكن تغير المجنـــــــــون
عدت بحرين .. لا الفؤاد فؤاد
مثل أمس ولا الحنين حنين
قدري كان بالجراح سخياً
والذي يلثم الجراح ضنين
إلى أن يقول :
آه يا بحر: أنت في قاع روحي
و أنا فيك سندباد سجين

إنَّها البحرين المعشوقة القابضة في أعماق الشاعر، إنَّها "ليلى" التي لم تتغيَّرْ لكن "قيس" هو الذي تغيِّر فالفؤاد؛ والحنين في ظل سطوة الجراح والألم الذي جعلته كالسندباد السجين في قاع البحر، إنَّهُ حديث المُحبِّ العاشق لمحبوبته عن عالمه المغمور بالأحزان والآهات التي غيَّرت كُلَّ شيءٍ فيه، ولم يعد كما كان.

ولقد احتلَّ الخليج مكانة غالية وعالية في قلب الشاعر القصيبي سكن قلبه وحرفه، واحتل مسافة كبيرة في شعره حتى صنف القصيبي من أبرز شعراء

(١) المجموعة الشعرية الكاملة، غازي القصيبي، صـــــ٦٨١.

الخليج تغنى القصيبي بالخليج بقصائد مشوقه بالعاطفة الجياشة والمشاعر العميقة الممزوجة بالكثير من معاني الفخر والاعتزاز؛ لقد همس القصيبي لشطآن الخليج ورماله وأمواجه وصياديه ومحاره، غنّى للسفن واللؤلؤ والجزر قصائد ملتهبة بالشوق تقطر وفاءً تعانق حرفه مع أساطير الغوص وحكايات الأجداد يقول في قصيدته (أغنية للخليج): (١)

أتيتُ أرقب ميعادي مع القمر
يا ساحر الموج والشطآن والجزر
هديتي رعشتا شوق .. وقافية
حملتها كل ما عانيت في سفري
أتيت أحرج فوق الرمل أنبشه
عن ذكريات القدامى .. عن هوى صغرى
خليج ؟ ما و شوش المحار في أذني
إلا سمعتك صوتاً دافئ الخدر
ولا ترنم ملاح بأغنية
إلا وضجت أغاني الغوص في السحر
ولا رأيت شراعاً ضمه أفق
إلا وموت هواري الصيد في فكري
خليج يا موجة بيضاء .. تنقلها
أصابع الشوق من قلبي إلى بصرى
أعيذ وجهك أن تغزو ملامحه
رغم العواصف إلا بسمة الظفر
عهدته عربيًا .. ما لوى فمه

(١) المجموعة الشعرية الكاملة، غازي القصيبي، صـــ٣٢٩ .

بلكنة هاجرت من شاطئ التتر
عهدته عربياً .. ملء جبهته
كبر من البيد .. لم يركع على قدري
عهدته عربياً .. ما غفا وصحا
إلا على لغة الإعجاز والسرر

لقد جعلنا القصيبي نستشعر ونعيش معه هذا الإحساس بالخليج وأمواجه وجزره وشطآنه الجميلة ورماله التي تخفى ذكريات الشاعر، هذا الخليج الذى يحمل كُلَّ دلالاتِ الحياة المعيشية وأنماطها الشراع والملاحون وأغاني الغوص وسفن الصيد التي يعيشها أهل الخليج، وتُعدُّ طابعاً مميزاً لحياتهم، وتظهر صورة اعتزاز وفخر الشاعر بموطنه الخليج قوية من خلال صورة العروبة التي تمسُّ سيادتها اللكنات الغريبة، ولم تلوِ فمها لهجة التتار العروبة. وفى قصيدة أخرى بعنوان "أوال" يقول:

أطرق الشيخ وجالت مقلتاه
في وجوه السامرين
ثم قال:
" قصتي الليلة عن أحلى أساطير الخليج "
نقل البحار عن أجداده
ألف حكاية
عن جزيرة
رقدت في الشمس حسناء غريرة
يلعب الموج على أقدامها
سطع اللؤلؤ في أحلامها
ويناغيها القمر

ويغنى باسمها العود إذا طاب السمر

والشاعر هنا يُشيرُ إلى تاريخ الخليج الذى يكنز في جعبته الكثير من الحكايات[١]، والأساطيرِ المَليئةِ بالتُّراثِ العَريقِ، ثُمَّ يصفُ جُزُرَ الخليجِ التي تُشبه الحسناوات اللاتى يلعب الموج على أقدامهم ويُناغيهنَّ القمر في شوق ودلال، وهو رمز لجمال تلك الجزر، وما تتمتع به من حُسْنٍ خَلَّابٍ.

ثانياً: المفهوم القومي:

ومن الوطن الأم إلى الخليج يُعبِّرُ الشَّاعر القصيبي ذلك كله إلى وطن آخر أكبر مسافةً، مُتلحفًا همومه ومعاناته آلامه، مُعبِّراً عن أحاسيسه تجاه قضاياه أصدق تعبير.

وقد تزاحمت دلالة هذا المصطلح، وتناقضت أحياناً في خضم تداولها من المثقفين العرب، الذين أهملوا التقيد بمعانيها اللفظية المعجمية في أحيان كثيرة، مدركين أهمية المعاني الاصطلاحية المتولدة في بنياتها، ومحاولين تفهم تنوعها في المنجز الثقافي العربي والعالمي.[٢]

وفى العصر الحديث اتجه توظيف مصطلحي "القومي" "والعالمي" اتجاهات متنوعة، من أبرزها الاتجاهان اللذان ربطا دلالات ذينك المصطلحين في الأدب وانتشاره، فبالنظر إلى المضمون تم تناول مصطلح الأدب دلالة على الأدب القومي للدلالة على الأدب الذى يعنى مضمونه بقضايا النضال القومي لشعب من الشعوب، بينما تناول مصطلح الأدب العالمي مرادفاً لمصطلح الأدب الإنساني الذى يعنى مضمونه بالقضايا الإنسانية العامة .

وهو مذهبٌ سياسيٌّ فكريٌّ، نادى بتقوية الشعور القومي العربي من المحيط إلى الخليج، وتفتَّحت عن هذا الشعور العام هيئات دولية، مثل جامعة الدول

---

(١) المجموعة الشعرية الكاملة، غازي القصيبي، صـــ٣٥٢.

(٢) القومية والعالمية في الأدب والثقافة، راتب النابلسي، موسوعة النابلسي، ١٢٦٢ .

العربية، وأحزاب سياسية عربية وجمعيات مختلفة في معظم الدول العربية[1]. والمفهوم الحديث لحركة القومية العربية وهو وجود شعور حسي لأبناء الأمة الواحدة بأن ثمة ما يجمعهم إلى بعضهم ليكونوا أمة واحدة، ولهم ما يميزهم عن الأمم الأخرى حضارياً وتاريخياً واقتصادياً واجتماعياً وسياسياً ولغوياً، وبتعبير آخر هي مجموعة الروابط التي يشعر أبناء الأمة الواحدة بأنَّها تربطهم. وتعنى كذلك تحقيق المجتمع الأفضل للمواطن العربي في وطنه، وتؤمن بالوحدة وسيلة المقاومة والاستعمار وأنواع التخلف كافة، وحدة تهدف إلى ربط الأفكار العربية في وحدة نضالية وسياسية واقتصادية واحدة وعمودية وتهدف إلى توحيد الشعوب المناضلة كلها في سبيل التخلص من الاستعمار والاستغلال أولا، وبناء حياة كريمة لشعبنا العربي ثانياً من خلال الوحدة والحرية.

وهذه الرؤية القومية بمدلولاتها المختلفة لم تَغِبْ عن القصيبي، وقد أفرد لها مساحات كبيرة في دواوينه الشعرية، وقد عبَّر عن مشاعره وأساه وحزنه لِمَا يحدث على الساحة العربية والإسلامية من حرب ودمار وقتال وتدنيس وعذاب للأبرياء الذين يشعر أنهم إخوة له يحزن ويتعذَّب ويبكى مثلهم، ويندب حظه وحظهم يتفطَّر قلبه ويتقطَّع ألماً وحسرةً، ويقول في قصيدته "هل أنت صائمة" التي وجَّهها إلى (سراييفو) تلك المدينة الوادعة الطاهرة التي استباح طهرها وهتك عرضها الأعداء، حيث يقول[2]:

هل أنت صائمة ..
ويدخل في شفاهك من عيونك
كل هذا الأحمر السيال
في وضح النهار ؟

---

(١) سعد البواردي شاعراً، صـــ٣٤.

(٢) قراءة في وجه لندن، غازي القصيبي، صـــ٢٩.

والصوم يفسده الدم السيال
تفسده الدموع
إذا تحولت الدماء إلى بحور
والدموع إلى بحار
هل أنت صائمة ..
وحولك كل هذا الرجس
هذا الرجز .. هذا البغي
آلاف العذارى يغتصبن
وينشى عار ؟
ويصدح إثر عار

يُلاحظُ من النَّصِّ قُوَّةَ شَجَبٍ واستنكار الشاعر، وهو يُخاطب سراييفو ويسألها "هل أنت صائمة"، وكيف يكون الصيام، وكُلُّ هذا الدَّمِ يسيل من عيونك وشفاهك والدم يفسد الصيام، كما هو معروف كيف الصيام والرجس والرجز والبغي يلتف حولك، ويعصف ببراءتك وكيف يكون كل هذا وأنت صائمة، وهو تجسيد للعذاب والدمار والعار الذي لحق بسراييفو وما صل بها من الأعداء في شهر الصوم:

هل أنت صائمة ..

ويواصل الشاعر شجبه واستنكاره لما يحدث، ويتصاعد مع هذا الاستنكار وصف العذاب والموت الذي استهدف الكبار والصغار.

هل أنت صائمة ..[1]
وأين الغسل .. أو ماء الوضوء
أو التيمم بالغبار ؟

(١) الديوان نفسه صـــ٣١.

هل أنت صائمة ؟ وكيف ؟
وهل يصح الصوم .. إن كان السحور
من القبائل .. شربة الإمساك
من سم ونار ؟
ومدافع الإفطار .. لا ترمي
سوى مهج الصغار؟

ويتفاعل الشاعر مع قضايا أمته العربية، وتهزُّ مشاعره أحداثها الدامية، مُبرِّزاً لأهم تلك القضايا العلمية عام ١٩٤٨م إلى يومنا هذا، ففي قصيدة "أخو العرب" يُصوِّرُ تهاون العرب، وعدم إحساسهم بما يعانيه الشعب الفلسطيني وصمتهم عن جرائم العدو وهلاك الفدائيين وهم في معزل، عن هذا يقول(١):

تعذرني يا سيدي
أنا الذي لم أحمل السلاح
ولا اكتويت بالكفاح
ولا دخلت خندقاً
ولا رأيت كيف تنزف الجراح
وكيف يسند الجنود
رؤوسهم على الثرى
وينتهون في الظلام
تعذرني إذا اكتفيت بالكلام ؟
تردد الأنباء في المساء
أظل أحسو قهوتي
وأقفل المذياع خوف أن

(١) المجموعة الشعرية الكاملة، غازي القصيبي، صـــ٣٩٢.

يصيح فجأة
في غرفتي:
أينك يا أخا العرب

وفى قصيدة (يا وطني) يصفُ الحالة التي هو عليها، وإيجاز ما يُعانيه من ألمٍ وحُزنٍ مُتَّخذاً من أسلوب "الرفض" وسيلة للتعبير عن أحاسيسه وانفعالاته التي تُعبِّرُ بصراحَةٍ وجرأة عن رفضه للموقف السلبي من العرب بعد أحداث نكبة جزيران، وما أحدثته من نزيف في قلب الأمة العربية والإسلامية، ورفضه الثرثرة بتمجيد الزعماء ومدحهم، وهم لا يستحقون ذلك، يقول:(١)

لأنِّى لا أجيد المدح والتصفيق والتمجيد
وأكره أن أُسمِّى المأتم المشئوم يوم العيد
وحين أرى جموع عبيد
يقول الناس أنك لست في قلبي
لأنى أعرف الزعماء
وأعرف كيف تلعب خمرهم بعواطف البسطاء
وأعرف كيف يتجرون في شعبي
يقول الناس أنك لست في قلبي
لأنِّى لا أثرثر بالعلا والمجد في شعري
يقول الناس هذا شاعر الغيد
وأين المجد يا وطني ؟
وأنت وراء ليل الذل ..
تحبو في الأعاصير

(١) المجموعة الشعرية الكاملة، غازي القصيبي، صـــ٦٩٧.

وفى قصيدة "برقيه عاملة إلى بلقيس" يُكرِّرُ الشاعر الحديث عن الجراح والتمزُّق والشَّتات الذى حلَّ بالأُمَّةِ العربية، ويستنكر على العرب تمسُّكها بالكلام دون فعل؛ ممَّا جعل الجراح والمصاب في قلبه أكبر وأعمق من أن يكتفى فيه بمجرد الكلامِ، فيزداد العذاب ويزداد اللوم، يقول:(١)

ألوم صنعاء، يا بلقيس، أم عدنا
أم أمة نسيت في أمسها يزنا؟
ألوم صنعاء (لو صنعاء تسمعني)
وساكني عدن (لو أرهفوا أذنا)
أم أمة عجباً .. ميلادها يمن
كم مزقت يمناً .. كم قطعت يمناً؟
ألوم نفسي، يا بلقيس، كنت فتًى
بفتنة الوحدة الحسناء مفتتنا
بنيت صرحاً من الأوهام .. أسكنه
فكان قبراً نتاج الوهم .. لا سكناً
إلى قوله :
قولي لهم : يا رجالاً ضيعوا وطناً؟
أما من امرأة تستنفذ الوطنا ؟

وقد استطاع الشاعر من خلال أسلُوب اللَّومِ والتَّحَسُّرِ أن ينقل حزنه على تلك الأمجاد التي تمزَّقت وتشتَّت معها حال الأمة. ويستنهض الشاعر همم الأمة ويدعوها إلى الثأر وعدم الخوف والاستسلام للعدو، مُتَّخذاً من صور القتلى

(١) ديوان قراءه في وجه لندن، غازي القصيبي، صـــ٢٦.

ودمائهم التي تسيل وجثثهم المُلقاة في كُلِّ مكانٍ وشبر من الأرض أداة ووسيلة يُذكِّى بها تلك الهمم والعزائم التي كانت يقول في قصيدة (نهر من الدم):[1]

نهرٌ من الدَّمِ.. فامشي فيه واغتسلي
من الجنابة.. يا أنثى بلا خجل
تأملي جثث الأطفال .. وانفعلي
وطالعي جثث الأشياخ ..واشتعلي
ماذا يخيفك ؟ هل بعد الحمام ردى ؟
وهل سوى الأجل المحتوم من أجل
ها أنت مت .. فقومي الآن وانتفضي
قد يصبح الموت ميعاداً مع الأزل
نهر من الدم .. يجرى في مرابعنا
بلا شموخ.. بلا كبر .. بلا بطل
ما مات فيه عدوي ..مات فيه أخي
بطعنة من أخي مسمومة القبل
مازال يجري و تسقيه العروق طلاً
فالأرض ترقص في عرس بلا جذل
نهر من الدم .. فامشي فيه و ارتشفي
حتى الثمالة ..يا أضحوكة الدول

وجميع تلك المشاهد المأساوية التي ساقها الشاعر ما هي إلا جزءٌ من حال الأمة والمصير الذي آلت إليه، والتي حَدَتْ بالشَّاعِرِ أن يستعرضها رُبَّما تفيق الأمة، وتنتفض لرد اعتبار كرامتها وسيادتها التي تلطَّخت بدم الأبرياء وأُريقت في كُلِّ شبرٍ وبُقعةٍ، على الرُّغم من حرارة الحزن والأسى والإحساس بالذُّلِّ

(١) المجموعة الشعرية الكاملة، غازي القصيبي، صـــ٧٤٩.

والعار والهزيمة التي تكتنف الشاعر في حديثه عن حال الأمتين العربية والإسلامية فإنه يبقى متفائلاً بالنصر والمجد والرفعة لهذه الأمة، على الرُّغم ممَّا وصلت إليه، يظلُّ هناك أمل يشع داخل أعماق الشاعر؛ لأنه لم يمت بعد، ولا يزال حيًّا وما زالت عزته وإسلامه وهج يضيء بين أضلعه، يقول في قصيدة "" لا تهيئ كفني "": (١)

لا تهيئ كفني ... ما متُّ بعد

لم يزل في أضلعي برق ورعد

أنا إسلامي .. أنا عزته

أنا خيل الله نحو النصر تعدو

أنا تاريخي .. ألا تعرفه

خالد ينبض في روحي .. وسعد

أنا صحرائي التي ما هزمت

كلما استشهد بند ... ثار بند

قسماً ما قفز الخوف إلى

قبضة الفارس .. ما اهتز الفرند

لا تهيئ كفني... مازال لي

في صمود القمم الشَّمَّاء وعد

لا تغرنك مني هدأة

لا يموت الثأر .. لكن يستعد

(١) المجموعة الشعرية، غازي القصيبي، صـــ٦١٩.

لا يغرنك نصل موغل

في عروقي .. فأنا منه أحد

لا يغرنك عبد مرجف

بانتهائي .. لا يخيف الحر عبد

ونختتم المطاف بهذه الأبيات تبرهن بقوة على هذا الجانب الغزير عند القصيبي، ولا يزال هناك الكثير من القصائد التي تكتظ بالمشاعر والأحاسيس التي تكشف وتؤكِّد انتماء الشاعر لوطنه الأصل وموطنه الكبير الأمة العربية والإسلامية التي تزخر بها دواوين الشاعر.

الْمَصَادِرُ وَالْمَرَاجِــعُ

أولاً: القرآن الكريم:

ثانيًا: أهم المصادر والمراجع:

١. الاتجاه الابتداعي في الشعر السعودي في نهاية التسعينات، محمد حبيبي، إصدارات المهرجان الوطني للتراث والثقافة، الرياض، ١٩٩٧م.

٢. أخبار مكة وما جاء فيها من آثار، أبو الوليد الأزدي، تحقيق: على عمر، دار الثقافة، بيروت، ٢٠٠٤م.

٣. حياة الوزير الأديب غازي وأهم أعماله، مجلة ليلة خميس، بتاريخ: ١٦ – ١٢ – ٢٠١٦ م.

٤. ديوان ابن الرومي، عبد الأمير علي باشا، دار مكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٩٩١م.

٥. ديوان أحمد شوقي، جمعه: إميل كبا، دار الجيل للنشر، بيروت، ١٩٩٩م.

٦. ديوان أشعار من جزيرة اللؤلؤ، غازي القصيبي، ط٢، بيروت، ١٩٦٠م.

٧. ديوان العودة للأماكن القديمة، غازي القصيبي، ط ٢، البحرين، ١٤٠٥هـ.

٨. ديوان امرئ القيس، تحقيق: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ٢٠٠٤م.

٩. ديوان أنت الرياض، غازي القصيبي، منشورات تهامة، ١٩٩٥م.

١٠. ديوان في الأفق الملتهب، محمد حسن عواد، مطابع دار سعد، القاهرة، ١٩٧٨م.

١١. ديوان قراءة في وجه لندن، غازي القصيبي، ط٣، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠١١م.

١٢. ديوان قطرت من ظما، غازي القصيبي، ط١، بيروت، ١٣٨٥هـ.

١٣. ديوان معركة بلا راية، غازي القصيبي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٧٠م.
١٤. سعد البواردي شاعرًا، عبد العزيز حمود البلوي، النادي الأدبي، جدة، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.
١٥. في الآدب العربي السعودي، محمد صالح الشنقيطي، ط:٥، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت،١٤٣١ هـ.
١٦. القومية والعالمية في الأدب والثقافة، راتب النابلسي، موسوعة النابلسي.
١٧. لسان العرب، ابن منظور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣.
١٨. المجموعة الشعرية الكاملة، غازي القصيبي، ط٢، تهامة للنشر، ١٩٨٧م.
١٩. موسوعة الأدباء والكتَّاب السعوديين خلال مائة عام، أحمد سعيد بن سلم، نادي المدينة المنورة الأدبي، ١٩٩٩م.
٢٠. نشأه الآدب السعودي الجنوب، يحيى الودعاني، منتديات العارضة على الشبكة العنكبوتية، ٢٠٠٩م.
٢١. النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، دار العودة، بيروت، ١٩٨٧م.
٢٢. الوطن والمواطن والوطنية، أحمد قاسم الغامدي، صحيفة اليوم السعودية، ٢٠١٤م.

* * *